القسم الثاني
في الحديث الشريف والسيرة النبوية

كما في القرآن الكريم الذي أعطى أمة الإسلام الخيرية ، وبين لها طريقها الذي تسلكه لتحافظ على خيريتها ، وتحافظ على وسطيتها ، كما تقدم في القسم الأول ، فإن الرسول ﷺ قد كشف الله تعالى بصيرته وأراه ما سيكون في أمته ، فتحدث الرسول ﷺ بالبيان الواضح عن هذه الأمة ، وما ستصير إليه من رفعة وفتن ، وتخلف ونهوض وسيادة وقهر ، وفي أبواب الحديث الشريف الكثير من الأخبار عن هذا ، وكلها تدل على استمرارية خيرية أمة الإسلام ، وأنها الوحيدة المميزة بالخيرية والوسطية بين الأمم ، وكذلك استمراريتها لاستمرارية حفظ القرآن من الله عز وجل ، والذي هو النبراس والدستور والموصوف بالحفظ والكرم والعظمة ، والبعد عن التحريف كما أنزله الله تعالى ، وهذه الأحاديث بمجملها تعطي صوراً واضحة لما سيحل بهذه الأمة ، وتصفح الفترة الزمنية بين الإخبار عن الأحداث واليوم نجد أنها وقعت بحلول آجالها المرتبطة بإرادة الله تعالى ، ونرجو في هذا المقام أن نوفق إلى الوقوف عند هذه الأحداث وما ارتبطت بذكر الرسول ﷺ لها .

في حديث ثوبان الذي رواه مسلم ، يقول الرسول ﷺ : " إن الله زوى لي الأرض – أي ضمها لي – فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها"[1] .

فسيبلغ ملك هذه الأمة ما زوي للرسول ﷺ منها ، وهو رأى مشارقها ومغاربها ، وحتى الآن لم يحصل ذلك [2] .

ويقول الرسول ﷺ : " ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدرٍ [3] ولا وبر إلا أدخل الله هذا الدين بعز عزيز أو ذل ذليل ، عزاً يعز الله به الإسلام ، وذلاً يذل به الكفر " [4] .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن ١٨ / ١٣.

(٢) النفي أنه لم يحصل ذلك خطأ . الصواب أنه لم يتحقق كل ذلك لأن أمة الإسلام كما بينا قد امتدت إلى أكثر من ثلثي الأرض ، والثلث الباقي لها به وجود .

(٣) المدر جمع مدرة وهي : البنية تصنع من الطين المتماسك ، ويكنى به أهل المدن ، وهم الحاضرة ، والوبر هو شعر الإبل ، ويكنى به أهل البادية لأن بيوتهم تصنع من الوبر . فمعنى الحديث أن الإسلام سيبلغ الحاضرة والبادية " انظر : لسان العرب مادتي مدر ووبر، والنهاية في غريب الحديث .

(٤) المسند ٤ / ١٠٣ ، /٦ ١٠٤ .

– عن ابن قبيل قال : كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص ، وسُئِلَ أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أم رومية ؟ ، فدعى عبد الله بصندوق له حلق قال : فأخرج منه كتاباً فقال عبد الله : بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب ، إذ سُئِلَ رسول الله ﷺ أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أم رومية ؟ فقال الرسول ﷺ : " مدينة هرقل تفتح أولاً أي القسطنطينية " [1] . يقول : " تكون النبوة فيكم ماشاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً عاضاً فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إن شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إن شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة – ثم سكت – " [2] .

وهذا هو الشاهد " ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت " ، وبعض الناس يظن أن قوله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** (٣٣)﴾ [التوبة] ، أن ذلك قد تم وانتهى ، ولن يتكرر بعد ، وهذا خطأ . لما في الحديث الذي ترويه عائشة : قال رسول الله ﷺ : " لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى " . فقالت عائشة : يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** (٣٣) ﴾ [التوبة] . أن ذلك تام– أي أن ذلك قد تم .. قال : " وإنه سيكون من ذلك ما شاء الله " [3] .

عن عمرو بن أحطب قال : صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر ، فنزل فصلى ، ثم صعد المنبر ، فخطبنا حتى حضرت العصر ، ثم نزل فصلى ، ثم صعد المنبر ، فخطبنا حتى غربت الشمس ، وأخبرنا ما كان وبما هو كائن ، فأعلمنا أحفظنا [4].

هذا الحديث يدل دلالة واضحة على أن النبي ﷺ قد أخبر أصحابه بما سيكون ، وبما سيكون لأمته في هذا الشأن ، كما أنه ﷺ قد رأى ملك المسلمين وإلى أي مدى سيصلون ، رأى الفتن التي وقعت بينهم وذكرها في حديثه ﷺ .

---

(١) رواه أحمد ١٧٦/٢ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج ٤ / ٢٧٣ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٧٨–٢٨٤بمعناه ولفظه : " لا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين،حتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان ". انظر: الفتح الرباني ٢٤/ ٣١.وقال:رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة وقال الترمذي :حسن صحيح.وانظر أحاديث السلسلة الصحيحة ١ / ٦ من كتيب الهزيمة النفسية عند المسلمين د.عبدالله الخاطر .

(٤) مسلم (٢٨٩٢/ ٢٥) .

عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها مازُويَ لي منها . وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ، وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة عامَّة ، وألا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم ، فيستبيح بعضهم بعضاً ، وإن ربي قال : يا محمد إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد ، وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة، وألا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، فيستبيح بعضهم بعضاً ، ولو اجتمع عليهم من أقطارها ، أو قال من بين أقطارها ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ، ويسبي بعضهم بعضاً " [1] .

- وعن حذيفة بن اليمان قال : أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، فما منه شيء إلاّ وقد سألته إلاّ أني لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة [2] .

- عن نافع بن عتبة قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ، قال : فأتى النبي ﷺ قوم من قبل المغرب ، عليهم ثياب صوف ، فوافقوه عند أكمة فإنهم لقيام ورسول الله ﷺ قاعداً . قال : فقالت لي نفسي : ائتهم فقم بينهم وبينه لا يغتالونه . قال : ثم قلت : لعله نجي معهم .. ؟ فأتيتهم فقمت بينه وبينهم . قال : فحفظت منه أربع كلمات . أعدهن في يدي ، قال : " تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله . ثم فارس فيفتحها الله . ثم تغزون الروم فيفتحها الله ، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله " . قال : فقال نافع : يا جابر ألا نرى الدجال حتى تفتح الروم ؟ [3] .

ولا يمكن أن تحصى أحاديث الرسول ﷺ في باب تمكين أمته من الدنيا ، وسيادتها على من عاداها ، ودخول أقوام ما كان يعلمهم الناس ، أو أنهم تواصلوا معهم أو عرفوا عنهم شيئاً ، حتى أولئك الذين كانوا سادة في الدنيا وقتها .

عن عدي بن حاتم [4] قال : دخلت على رسول الله ﷺ فقال : " يا عدي أسلم تسلم " فقلت: إني من أهل دين . قال : " أنا أعلم بدينك منك " ثم قال : " إني أعلم ما يمنعك عن الإسلام ، تقول : إنما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له . وقد رمتهم العرب أتعرف الحيرة ؟ " قلت: لم أرها وقد سمعت بها . قال : " فوا الذي نفسي بيده ليَتِمَّنّ هذا الأمر ، حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت من غير جوار أحد ، ولتفتحن كنوز كسرى بن هرمز " ، قلت :

---

(١) رواه مسلم (١٩/٢٨٨٩) .

(٢) انفرد به مسلم (٢٢/٢٨٩١) .

(٣) مسلم (٣٨/٢٩٥) .

(٤) عدي بن حاتم الطائي ابن الكريم المشهور الذي عرف عند العرب بكرمه ، وسارت بأخباره الركبان كان سيد قومه بعد أبيه ، وكانت طيئ قبيلتهم قد تنصرت في الجاهلية ، أسلم بعد أن أكرم رسول الله ﷺ أخته بعد أن أسرت في حنين وأطلق سراحها ، فذهبت وطلبت من أخيها أن يسلم ، فجاء مسلما إلى رسول الله ودخلت قبيلته الإسلام ، وصاحب رسول الله ﷺ وروى عنه كثيراً.

كسرى بن هرمز .. ! ؟ قال : " نعم كسرى بن هرمز ، وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد " ، قال عدي : فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت من غير جوار أحد ، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز .. والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة لأن رسول الله ﷺ قالها [1] .

ولقد تحصلت الثالثة أيضاً ، فلم يجد المسلمون في أرض الإسلام التي امتدت بزمن الوليد بن عبد الملك من الأندلس إلى الصين إلى أواسط آسيا في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز من يقبل الصدقة ، أو يأخذها ، أو يحرص عليها . عدا الغنى الذي أصاب الناس وكفاهم الله تعالى ؛ فإنه قد خرج من قلبهم الجشع والطمع أيضاً ، ولم يدع أحد أنه بحاجة إلى المال .

قال تعالى : ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** (٥٥) ﴾ [النور] .

يقول ابن كثير : هذا وعد الله تعالى لرسوله ﷺ فإنه سيجعل أمته خلفاء الأرض ، أي أئمة الناس والولاة عليهم ، وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد ، وليبدلنهم بعد خوفهم أمناً وحكماً فيهم ، وقد فعله تبارك وتعالى ، فإنه ﷺ لم يمت حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين ، وسائر جزيرة العرب ، وأرض اليمن ، وأخذ الجزية من مجوس هجر ، ومن بعض أطراف الشام ، وهاداه هرقل ملك الروم ، وصاحب مصر واسكندرية وهو المقوقس وملوك عمان ، والنجاشي ملك الحبشة رحمه الله وأكرمه .

ثم لما مات رسول الله ﷺ ، واختار الله ما عنده من الكرامة . قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر ﷺ ، فَلَمَّ شَعْثَ ما وهي بعد موته ﷺ ، وأخذ جزيرة العرب ومهدها ، وبعث جيوش الإسلام إلى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد ﷺ ، ففتحوا طرفاً منها ، ولما ضاق الأمر بأمراء الشام أمر خالداً بالتوجه إلى جهة الروم ، وقال كلمته المشهورة : والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد ابن الوليد . وكان قد سير جيشاً آخر صحبة أبي عبيدة بن الجراح ﷺ ومن اتبعه من الأمراء إلى أرض الشام ، وثالثاً صحبة عمرو بن العاص ﷺ إلى بلاد مصر ، ففتح الله للجيش الشامي في أيامه بصرى ودمشق ومخالفيهما من بلاد حوران وما والاها .

وتوفاه الله عز وجل ، واختار له ما عنده من الكرامة ، وَمنَّ على أهل الإسلام بأن ألهمَ الصديق أن يستخلف عمر الفاروق ، فقام بالأمر بعده قياماً تاماً ، لم يدر الفلك بعد الأنبياء على مثله في قوة سيرته ، وكمال عدله ، وضم في أيامه فتح البلاد الشامية بكمالها ، وديار مصر إلى

---

(١) رواه أحمد ٤ / ٢٧٥ .

آخرها ، وأكثر إقليم فارس ، وكسر كسرى ، وإهانته غاية الهوان . وتقهقر إلى أقصى مملكته ، وقصر قيصر ، وانتزع يده عن بلاد الشام وانحدر إلى القسطنطينية ، وكان قد فتح بيت المقدس بنفسه بزيارته لها ، وأنفق أموالها في سبيل الله ، كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله عليه من ربه أتم سلام وأزكى صلاة .

ثم لما كانت الدولة العثمانية – دولة عثمان بن عفان – ﷺ ، امتدت الممالك الإسلامية إلى أقاصي مشارق الأرض ومغاربها ، ففتحت بلاد المغرب إلى أقصى بلاد الصين ، وقتل كسرى وباد ملكه بالكلية ، وفتحت مدائن العراق وخراسان والأهواز ، وجبي الخراج من المشارق والمغارب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ ، وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الأمة على حفظ القرآن ، ولهذا ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : " إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها " فها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله، فنسأل الله الإيمان به وبرسوله ، والقيام بشكره على الوجه الذي يرضيه عنا . وهذا الوعد الإلهي للمؤمنين وعد دائم ومستمر ، وما تحقق في عهد الخلفاء الراشدين من نصر وتمكين ، يمكن أن يتحقق لمن وعدهم ــ الذين جاءوا من بعدهم ــ فإن وعد الله تعالى لا يختلف . قال تعالى : ﴿ **وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا** (٩٨)﴾ [الكهف] ووعد الله هنا مشروط بالإيمان وعمل الصالحات ، وعبادة الله وحده وعدم الإشراك به [١]. قال تعالى : ﴿ **يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا** ﴾ [النور : ٥٥] . ومن البشارات الكثيرة التي بشر الرسول ﷺ أمته المؤمنة المرتبطة بالإيمان والتصديق والتسليم قوله :

عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: " بشر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة، والتمكين في الأرض ، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا ، لم يكن له في الآخرة من نصيب" [٢] .

وعندما رسم رسول الله ﷺ الطريق السليم لأمته، حذرها من الفتن والرياء وترك أوامر الله تعالى ، والخروج عن المنهج الحق الذي رسمه القرآن،وحددته السنة في خروج الناس عن الصواب إلى الخطأ،ومن الهدي إلى الضلال. قال تعالى: ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**(٢٥٦)**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمْ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنْ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** (٢٥٧)﴾ [البقرة] . وظهر توضيحاً وتأكيداً لهذه الآيات قول الرسول ﷺ .

---

(١) " يوسف القرضاوي " المبشرات بانتصار الإسلام – من سلسلة رسائل ترشيد الصحوة (٩) ص ١٧ فما بعد .

(٢) صحيح الإسناد . رواه أحمد ٥/١٣٤ .

عن محمود بن لبيد ، أن الرسول ﷺ قال : " إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر "، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله .. ؟ قال :"الرياء يقول الله عز وجل : إذا جزي بأعمالهم ، اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء " (١) .

ومن توجيهاته ﷺ التأكد الدائم على التمسك بالقرآن ، فهو المنقذ من الضلال في جميع الأوقات والأحوال ، وهو الهادي إلى السبيل في مسيرة ومآل .

وعن أبي شريح الخزاعي قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : " أليس تشهدون أن لا إله إلاّ الله ، وأني رسول الله . ؟ " قالوا : بلى ..! قال : " إن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به ، فإنكم لن تضلوا ، ولن تهلكوا بعده أبداً " (٢) .

وعن أبي أيوب الأنصاري ﷺ قال : خرج علينا رسول الله ﷺ مرعوباً فقال : " أطيعوني ما كنت بين أظهركم ، وعليكم بكتاب الله . حلوا حلاله ، وحرموا حرامه " (٣).

لقد وردت أحاديث كثيرة يتحدث بها رسول الله ﷺ عن الخلفاء الراشدين المهديين الذين سيخلفونه ، وفي بعضها حدد زمانهم بثلاثين سنة وفعلاً فقد حكم الخلفاء الأربع تسعا وعشرين سنة وستة أشهر وكانت خلافة الحسن بن علي ﷺ ستة أشهر حتى جمع الله به طائفتين من المؤمنين مختلفتين ، وقبل أن يصبح نظام الحكم ملكاً عضوداً .

وعن أبي أيوب أيضاً قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون . فقلنا : يا رسول الله ، كأنها موعظة مودع فأوصنا .. قال : "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد ، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة " (٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فقال : " إن الشيطان قد يئس أن يُعبدَ في أرضكم ، ولكن رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرتم من أعمالكم ، فاحذروا ... إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، كتاب الله وسنة نبيه .. " الحديث (٥).

---

(١) أحمد ٤٢٨/٥ .

(٢) الهيثمي في المجمع ١٧٤/١ وقال : " رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح " .

(٣) الهيثمي في المجمع ١٧٥/١ وقال : " رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله موثقون " .

(٤) رواه الترمذي (٢٦٧٦) . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٥) رواه أحمد ٣٦٨/٢، ١٢٦/٤ .

- " ومن سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها . من غير أن ينقص من أوزارهم شيء " [1] .

وفي باب الفتن التي تمر على الناس ، ولا تنجو أمة الإسلام منها باعتبارها تجمعا من البشر . خص المحدثون باباً لأحاديث رسول الله ﷺ لذكرها ، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يحرصون على معرفة ما سيؤول إليه حال المسلمين ، إذا هم تركوا دينهم وتخلوا عنه ، وإذا غرقهم الحياة الدنيا وركضوا وراءها يبتغون عرضها الزائل ، وقد أخبر النبي ﷺ أصحابه بهذا المآل الذي سيلاقيه جيل من المسلمين ، أو أجيال منهم ، ولا نرغب هنا بحصر ما ورد في هذا الكتاب ، فإن ما وعد الله تعالى به عباده المؤمنين في كل زمان ومكان ، وبشر النبي ﷺ به أصحابه من الرفعة والعلو والسمو والسيادة في الدنيا كان له النصيب الأوفى ، وذلك تبشيراً لهم ليكونوا مع الله تعالى قابضين على كتابه الكريم عاملين بأحكامه ، متبعين سنة المصطفى عليه السلام الذي أكد التمسك بالكتاب والسنة هو المنجي والمخلص لكل جماعة إسلامية ، لكل زمان ومكان ، بعيداً عن الضلال والغواية وأتباع أوامر الشيطان ، والضعف أمام النفس الأمارة بالسوء ؛ سواء أكان فرداً أم جماعة . ولتبقى الأمة الخيرة على درب طريق الهدى سائرة ، تبتغي فضلاً من الله ورحمة ونصراً وتوسعاً في الدنيا ، وقولاً للأعمال الخالصة لوجه الله .

ففي اختيار لبعض الأحاديث عن الفتن ، والتي امتلأت بها كتب الحديث ، نورد بعضاً يسيراً منها للتذكر بما سيؤول إليه حال الناس إن هم حادوا عن سنة المصطفى وحادوا أو أهملوا كتاب الله تعالى .

- عن زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها .. أن النبي ﷺ استيقظ من نومه وهو يقول : " لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه " وعقد سفيان بيده عشرة [2] .

- وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ أشرف على أطم من آطام المدينة ثم قال : " هل ترون ما أرى ؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم ، كمواقع القطر " [3].

---

(١) رواه مسلم (١٥/١٠١٧) .

(٢) رواه مسلم (١/٢٨٨٠) ، وفي حديث : وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها قالت زينب : يا رسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : " نعم إذا كثر الخبث " .

(٣) البخاري (١٨٧٨) ، ومسلم (٩/٢٨٨٥) ، واللفظ لمسلم .

– وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " ستكون فتن ، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي . من تشرف لها تستشرفه ، ومن وجد فيها ملجأً فليعذ به " [1] .

– وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال : قال رسول اللهﷺ : " كيف بكم إذا لبستكم الفتنة ؟ يربو فيها الصغير ، ويهرم فيها الكبير ، وتتخذ سنة فإن غيرت يوماً قيل : هذا منكر ..! " قيل : ومتى ذلك ؟ قال : " إذا قلت أمناؤكم ، وكثرت أمراؤكم ، وقلت فقهاؤكم ، وتُفُقِّه لغير الدين ، والتمست الدنيا بعمل الآخرة " [2].

ألا نرى حال المسلمين الآن تنبئ بكل تفصيلاتها ما آل إليه حالهم ، واستمرارية هذه الفتن على أمة الإسلام فكبر بها الصغير ، وشاب بها الكبير ، أليست اليوم الملاجئ لا تحوي غير المسلمين ، وانقلبت هذه الملاجئ المؤقتة إلى سكن دائم ، وعمل مستمر ولو أحصينا في العالم العربي والإسلامي هذا الحال لوجدنا انتشاره في أداني الأرض وأقاصيها .. ألم تربى أجيال كاملة في هذه الملاجئ .. أليست ملاجئ الفلسطينيين والأفغان والشيشان والنشاط المتواصل في ظل الأمانة العامة والأمن العام للأمم المتحدة ، والمنظمات الإنسانية التي تحاول رعاية الأجيال المتلاحقة في كل مكان ؟ أليس التفقه لغير الدين ؟ أليس الأمراء قد تجاوزوا حدوداً غير معقولة ؟ ٦٤ دولة إسلامية وفي كل دولة أربع وستون حاكماً أو أميراً . أليس قراء القرآن لا يحصون ؟ يقرؤون ولا يعملون ، أليست الدنيا هي الأمل وهي الهدف وهي التي يكبر فيها الصغار ولأجلها ، ويشيب فيها الكبار وما نالوا منها شيئاً ؟. أليس الفقهاء والعلماء والحكماء قلة نادرة في ديار الإسلام أتصل نسبة هؤلاء السكان إلى واحد لكل مليون .؟ والمتفيهقون أكثر من يحصوا !!؟ أوليس كل التعليم في العالم الإسلامي منصب إلى علوم الدنيا – وحتى هذه لم نتقنها أو نبرع فيها أو نبدع كما سبقنا السابقون منا ..؟ أليس كلام رسول الله ﷺ بحرفيته ومحتواه وروحه ومعناه قائما الآن بيننا .. أمن الصدف أن يقول الرسول ﷺ كلاماً قبل ألف وأربعمائة سنة ونيف ونراه بكل واقعية اليوم . لو أننا أحضرنا ألفا .. ألفين .. عشرة آلاف من العلماء المتخصصين الآن بمختلف العلوم والمعارف والثقافات وأحوال الأمم والشعوب ، وطلبنا إليهم أن يقدموا لنا دراسات متعمقة وصحيحة عن أحوال المسلمين وأعطيناهم الوقت الكافي لاستكمال هذه الدراسات ، وتقديمها إلى المراجع

---

(١) البخارى (٢٣٦٦) ، ومسلم (١٠/٢٨٨٦) ، واللفظ لمسلم .

(٢) الدر المنثور للسيوطي ١/١١٧، وعزاه لعبد الرزاق في مصنفه .

المختصة بمثل هذه الدراسة ، لما جاءوا باستنفاذ المدة المطلوبة منهم بأكثر من حديث الرسول ﷺ الذي أخبر أصحابه به عنا بقوله عليه السلام :

" تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها ..!" قالوا : أومن قلة نحن وقتها يا رسول الله ؟ قال : " لا .. إنكم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ينتزع الله مهابتكم من قلوب أعدائكم ، ويدخل في قلوبكم الوهن ..!" قالوا : وما الوهن يا رسول الله ..؟ قال : " حب الدنيا وكراهية الموت " [1] .

– وهذه الأحاديث التي وردت على لسان المصطفى ﷺ تحقق الكثير منها كما قال عدي بن حاتم : تحققت أمور قالها الرسول ﷺ ويتحقق ما لم يكن قد حصل في زمانه — جيل الصحابة — فإنه يتحقق بعد حين .

– عن عمر بن الخطاب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :" يظهر الإسلام حتى يختلف التجار في البحر ، وحتى تخوض الخيل في سبيل الله ، ثم يظهر قوم يقرؤون القرآن . يقولون : من أقرأ منا؟ من أعلم منا ؟ من أفقه منا ؟ " ثم قال لأصحابه : " هل في أولئك من خير ؟ " قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال :" أولئك منكم من هذه الأمة ، أولئك هم وقود النار " [2] .

ومما يشبه هذا الحديث حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قام ليلة بمكة من الليل فقال : " اللهم هل بلغت؟ " (ثلاث مرات) . فقام عمر بن الخطاب – وكان أواهاً – فقال : اللهم نعم ، وحرضت ، وجهدت ، ونصحت . قال : " ليظهرن الإيمان حتى يرد الكفر إلى مواطنه،ولتخاضن البحار بالإسلام،وليأتين على الناس زمان يتعلمون فيه القرآن، يتعلمونه ويقرؤونه يقولون : قد قرأنا وعلمنا ، فمن ذا الذي هو خير منا ؟ فهل في أولئك من خير ؟ " قالوا : يا رسول الله ومن أولئك ؟ قال : " أولئك منكم ، وأولئك وقود النار " [3] .

– وقد بين الرسول ﷺ في أحاديث كثيرة أحداثاً تحدث في المستقبل ، حدث بعضها ومازال بعضها سيحصل بإرادة الله تعالى . فقد أخبر عنها رسول الله ﷺ . تدل كلها على سيادة هذا الدين وانتشاره ، ورفعة المسلمين وعلو مكانهم ونصر الله تعالى الذي يتنزل على عباده المؤمنين مع قلة عددهم وعددهم ، وكثرة عدوهم وتنوع عددهم ، واختراعهم في كل يوم الفتاك من السلاح ، والقاتل من الأدوات التي وصلت إلى حد فاق تصور البشر . أليس هذا هو الإيمان الذي يحرك شعباً صغيراً هم الشيشان ، لم يتجاوز عددهم المليون في أوسع الإحصاءات ، يعلنون الحرب على روسيا

---

(١) أبو داود (٤٢٩٧) ، وأحمد ٥/٢٧٨ .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٦٢٤٢) ،وقال الهيثمي في المجمع ١/١٩١: "رواه الطبراني في الأوسط والبزار ورجال البزار موثقون " .

(٣) الهيثمي في المجمع ١/١٩١ وقال : " رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله ثقات ، إلا أن هند بنت الحارث الخثعمية التابعية ، لم أر من وثقها ولا جرحها " .

ورتبة أعظم دولة في العالم حتى عام ١٩٩٠م ، واستقلالها عن بقية المسلمين الذين كان الاتحاد السوفيتي يجمعهم ، وروسيا بعد تخليها الاختياري عن عشر دول إسلامية والتي يبلغ تعداد سكانها حوالي ثلاثمائة مليون نسمة ، وتملك أكبر مساحة من الأرض بين دول العالم ، وهي إحدى الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن ؛ هذا المجلس الذي يتحكم بمصير العالم ، وكل همه التوفيق بين أطماع هذه الدول في بقية المعمورة ، ولو أن الولايات المتحدة قد هيمنت وحيدة على مقدرات العالم . تتصدى هذه القلة المؤمنة ١/٣٠٠ لهذه الكثرة الباغية ، ودخلت ثلاثة حروب . ظن الأقوياء أنهم أجهضوا عليها وروضوها . لكنها ما زالت تحارب وتنتصر ، وليس لها من مؤيد أو مساند أو مناصر إلا الله عز وجل .

- عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " والذي نفسي بيده ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل في أي شيء قتل ، ولا يدري المقتول عن أي شيء قتل " [١] .

- وعن أبي هريرة ﷺ أيضاً - بما بلغ به النبي ﷺ قال : " لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر " الترك " [٢] ، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً صغار الأعين - دلف الأنوف - [٣].

- أما عن الحدث الغريب الذي تحقق بعد وفاة الرسول ﷺ فهو هزيمة الأقاصرة (الروم) والأكاسرة (الفرس) ، انتهت الدولة الفارسية مبكرة ، وتأخرت الدولة الرومانية حتى أنهاها الأتراك ودخلوا عاصمتها عام ١٤٥٢م .

- عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " قد مات كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله " [٤] .

صور النبي ﷺ مآل الناس في الدنيا والآخرة . فهو البشير النذير ، فعدا الصور المبدعة البليغة المعجزة في القرآن الكريم لأحوال الجنة والنار ، فإن الرسول ﷺ قد شرح هذه الآيات ، وبين ما فيها من نعيم للذين بُشروا في الجنة ، وما فيها من أهوال لمن صد عن ذكر الله تعالى وكفر به وبما أنزل على رسله .

---

(١) رواه مسلم (٢٩٠٨/ ٥٥) .

(٢) تاريخ الحروب بين المسلمين والشعوب التركية طويل . وتمكن المسلمون من إدخال كل الشعوب التركية في الإسلام ، الذين تحولوا لحمل هم الدين الإسلامي زهاء ثمانمائة عام حتى الوقت القريب جداً .. ولعلهم الأكثر فوزاً في اللعبة الديمقراطية الآن بمقاعد مجالس النواب . ولقد أصابهم ما أصاب العرب من نجزئة وتخلف وهجمة الغرب عليهم .

(٣) يعتبر الملاويون الذين تنطبق عليهم هذه الصفات يقاربون سدس المسلمين في العالم ، وكذلك الصينيون حيث يبلغ عدد المسلمين في الصين حوالي ٢٠٠ مليون ، ويشكلون ١٥% من سكان الصين .

(٤) رواه مسلم (٧٥/٢٩١٨) . ولقد أنفق المسلمون كنوزهما في سبيل الله ونرد القارئ العزيز على دراسة الحقبة التاريخية الخلافة الراشدة ، والخلافة الأموية بشيء من التفصيل .. وتحقق هذا الحديث بكل معانيه وجزئياته.

حدثنا شيبان بن فروخ .. عن خالد بن عمير العدوي قال : خطبنا عتبة بن غزوان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد .. فإن الدنيا قد أذنت [1] بصرم ، وولت حذاء [2]، و لم يبق منها إلاّ صبابة كصبابة [3] الإناء ، يتصابها صاحبها ، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها ، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم ، فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقى من شفة جهنم ، فيهوي فيها سبعين عاماً لا يدرك لها قعراً ... ووالله لتملأن .. أفعجبتم .. ! ؟ ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليها يوم وهي كظيظ [4] (ممتلئة) من الزحام . ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ . ما لنا من طعام إلاّ ورق الشجر ، حتى فَرِحَتْ أشداقنا ، فالتقطت برادة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك فاتزرت بنصفها واتزر سعد بنصفها ، فما أصبح اليوم منا أحد إلاّ أميراً على مصر من الأمصار . وإني أعوذ بالله من أن أكون في نفسي عظيماً ، وعند الله صغيراً . وإنها لم تكن نبوة قط إلاّ تناسخت ، حتى تكون آخر عاقبتها ملكاً ، فستنجزون ، وتجربون الأمراء بعدنا [5] .

- وحددت علاقة المسلمين مع غيرهم من الشعوب ، حددت مع الفرس ، ومع الروم ومع الترك ،ومع الصين،وكلها أحداث جرت مع هذه الشعوب، ودامت ردحاً طويلاً من الزمن . تحول الكثيرون إلى الإسلام ،وبقي سواهم على دينهم إذ أن الإسلام أضحى محور الحياة بعد ذلك .

فقد احتل التاريخ الإسلامي محور الحياة على الأرض في الفترة التي عرفت بالمصطلح التاريخي بالقرون الوسطى . وكان المحرك الفاعل خلال العشرة قرون ، من السابع الميلادي إلى السابع عشر من ميلاد السيد المسيح . واستأثر التاريخ الإسلامي في هذه الفترة وما تلاها كل النشاط البشري في الأرض من قوة وعلم واقتصاد ، واجتماع ، وسياسة ، واختراع . وكانت الشعوب الأخرى تنهل من هذا التاريخ ، وهذه الإنجازات في مختلف فنون المعرفة وبناء الحضارة . لم يواز هذا التاريخ أو ينافسه أحد من الذين عاصروا هذه الفترة ، أو عاشوا فيها . كل من رافق هذه الفترة من قوى أخرى ، خضعت بصورة من الصور إلى قيادة المسلمين ، أو كانت متأثرة بهم ، حتى أن مجمل التفكير البشري لم يكن أكثر من تابع لما أنتجه المسلمون ، أو قدموه للإنسانية على مختلف احتياجاتها ، ومقومات حياتها واستمراريتها [6].

---

(١) آذنت : بهمزة ممدودة وفتح الذال أي : أعلمت ، والصُّرم : بالضم أي الانقطاع والذهاب .

(٢) وقوله حذاء : بحاء مهملة مفتوحة ، ثم ذال معجمة مشدودة : أي سرعة الانقطاع .

(٣) والصُّبابة : بضم الصاد : البقية اليسيرة من الشراب تبقى في أسفل الإناء وقوله يتصابها : أي يشربها ، وقعر الشيء : أسفله .

(٤) الكظيظ : الممتلئ .

(٥) رواه مسلم (١٤/٢٩٦٧) .

(٦) من مقدمة كتاب – الوجيز في التاريخ الإسلامي – للمؤلف – قيد الطبع .

ومن الأوصاف الخيرة التي وصف الرسول ﷺ بها المؤمن ذلك القول البليغ الرائع الذي خص وميز المسلم عن سائر البشر في القديم والحديث :

– عن صهيب قال : قال رسول الله ﷺ : " عجباً لأمر المؤمن . إن أمره كله خير له ــ وليس ذلك لأحد إلاّ للمؤمن – إن أصابه سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته (ضراء) صبر فكان خيراً له " [1].

وكانت الهزائم التي لحقت اليهود في معاركهم مع الرسول ﷺ كقوة مجتمعة مسلحة : يهود بني قينقاع بين بدر وأحد ، وبني النضير ، بين أحد والخندق ، وبني قريظة بعد الخندق ، وخيبر في السنة السابعة للهجرة،ثم توزعهم بعد شتات في بلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا حتى في الأندلس . بعد أن أمر الرسول ﷺ بإخراجهم من جزيرة العرب .. وتعود اليهود على حياة الشتات والاعتقال والاستعباد، وبروزهم مع أي مناسبة ، لكن الله تعالى حدد حالهم في صدر سورة الإسراء ، ثم أخبرهم بقوله : ﴿ **وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (٨)** ﴾ [الإسراء] .

وذلك بعد نكباتهم التي وعدهم الله تعالى بهن ، فمن المؤرخين من يذكر وقوعهن ، ومن يذكر واحدة منهن جرت في الماضي والثانية ستتحقق بحديث رسول الله عن العلاقة معهم في آخر الزمان، ومن يذكر أن كلتيهما لم تقعا بعد ومنوطتان بأعمال المسلمين . والرأي الغالب أنهما جرتا في التاريخ القديم على يد بختنصر ، وأشور بانيبال ، أو تيطس الإمبراطور الروماني لكن كتب الله تعالى عليهم التشتت وتوعدهم بأنهم كلما عادوا إلى الفساد ، عاد الله تعالى لينتقم منهم كما في الآية ٨ من سورة الإسراء .

لكن الرسولﷺ أخبرنا أن حرباً ستقوم بين المسلمين واليهود قبل قيام الساعة وبقي اليهود مشتتين في أرجاء الدنيا ، أقاصيها وأدانيها .. إلى أن أذن الله بتجمعهم الآن وإقامة حكومة لهم ، وعلى حساب المسلمين وأرضهم ، وقيض الله للمسلمين حكاماً أذاقوهم الذل والهوان ، وهزموا – مع كثرتهم وقوتهم على شعوبهم – أمام اليهود الذين تحولوا إلى مقاتلين بعد أن كانوا أذل أقوام الأرض لأنه لا ينطبق عليهم كلمة شعب – فلا يملكون مقوماته – وكان ذلك تشجيعاً لمن في الشتات للحاق بهم بالكيان اليهودي ، وحرك الله في نفوسهم – اليهود – الحقد والقتل والإرهاب ليكسبوا عداوة الجوار من المسلمين ويعطوهم المبرر الأخلاقي والديني لقتالهم . وحتى يتحقق قول المصطفىﷺ في أحاديث عدة منها :

---

(١) انفرد به مسلم والحديث ٧٤٣٦ في قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام ١٨ / ٣٣٠ .

المصدر : صحيح مسلم بشرح الإمام محمد بن محيي الدين النووي المسمى : المنهاج شرح صحيح مسلم . تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا . دار المعرفة – بيروت ١٩٩٤م .

– عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : " لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم ؛ حتى يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودي فتعال فاقتله " [1] .

وفي رواية : " تقاتلكم اليهود ، فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر ... " .

وفي رواية : " لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبئ اليهود من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر والشجر : يا مسلم ! يا عبد الله ! هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله ؛ إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود " .

وأحاديث أخرى في ذات المعنى عن قتال المسلمين واليهود ، وإن هذا الموعد لقادم بإذن الله تعالى – فقد قاله رسول الله ﷺ .

– يكثر الدجالون والنصابون والأدعياء ويتسلطون على عباد الله تعالى ، ويصدقهم من يصدقهم ويكذبهم من يكذبهم ، ولقد ظهر كثيرون ادعوا النبوة ، وبعضهم ادعى الألوهية ، وبعضهم ادعى .. وادعى وادعى .. وآخرون ، وما زال أتباع القادياني موجودين تظللهم الحركة القاديانية ، وتجمعهم دول وحكومات . وفي زمننا ادعى رعي بأنه إله واتبعه خلق .. وأهله وبعض أشياعه يحكمون في بلد عربي مسلم .

– عن أبي هريرة ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : " لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله ! " [2] .

– الرخاء والمال والأمن .. تباشير بشر بها الرسول ﷺ . ليس فقط ورود المال من الخارج ، وغنى الفقراء من أوائل المسلمين ، وتحولهم إلى أغنياء . لكن الرسول ﷺ بشر بتغير الطبيعة في جزيرة العرب ، حيث بدأت بواشرها الآن في دول البترول في الجزيرة ، حيث إن مكافحة التصحر تشير بشكل واضح وكبير ، وأنهاراً من المياه المحلاة من البحار امتدت لإرواء مدن كبيرة وكثيرة وسقاية أراضي كثيرة ، والبدء بزراعات لم تكن – نتيجة المناخ وقلة المياه – أن تعيش هذه الزراعات .. في الوقت الذي تهاجم الصحراء الأراضي الزراعية في البلاد المحيطة بالأنهار الكبيرة .. هذه التباشير تعود بجزيرة العرب إلى ما كانت عليه بحديث رسول الله ﷺ قال : عن أبي هريرة : " لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً " وزاد أحمد في روايته : " وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف إلى ضلال الطريق " [3] .

---

(١) رواه مسلم (٧٩/٢٩٢١) .

(٢) رواه مسلم (٨٤/١٥٧) .

(٣) رواه مسلم في كتاب الزكاة برقم (١٠١٢ / ٦٠) ، وأحمد (٢/ ٣٧٠ ، ٣٧١) .

– ويبشر الرسول ﷺ فيما رواه أبو هريرة. أنه ﷺ قال :" لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض،حتى يهم رب المال من يقبله منه صدقة ،ويدعى إليه الرجل فيقول لا أرب لي فيه" (١) .

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب ، ثم لا يجد أحدا يأخذها منه ... " (٢).

ومثله حديث حارثة بن وهب مرفوعاً : قال ﷺ : " تصدقوا فإنه يأتي عليكم زمان يمشي الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها . يقول الرجل : لو جئت بها بالأمس لقبلتها ، فأما اليوم فلا حاجة لي بها " (٣) .

وهذا كله دليل على ظهور الرخاء ، ورغد العيش ، وزوال الفقر من المجتمع ، بحيث لا يوجد، فيه فقير يستحق الصدقة أو يقبلها ، وهذا من بركات عدل الإسلام ، وأثر الإيمان والتقوى في حياة الناس . وذلك تأكيداً لقوله تعالى ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**﴾ [الأعراف : ٩٦] .

إن أحداثاً في التاريخ تحققت ، وبانت واضحة لمن عايشها ، ولمن جاء بعد ذلك ، ومن الأمثلة الكثيرة في هذا المجال في هجرة النبي ﷺ وقد لجأ إلى الغار فاختفى فيه هو وصاحبه أبو بكر ، وقد بحث المشركون عنهما حتى وصلوا إلى باب الغار ، وقال أبو بكر ﷺ .. مشفقاً على النبي وعلى الدعوة الإسلامية : يا رسول الله لو نظر أحدهم موقع قدميه لرآنا ، فقال الرسول ﷺ : " يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ." وقد قص القرآن الكريم كيف نصر الله رسوله في ذلك اليوم، وبأي جند نصره . قال تعالى : ﴿ **إِلا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠)** ﴾ [التوبة] .

هذا مثال وأمثلة أخرى في بدر ، وفي الخندق .. في فتح مكة .. وانكفأ المسلمون عندما ظنوا أن أعدادهم الكثيرة مانعتهم في غزوة حنين إذ أنبهم الله تعالى بقوله : ﴿ **لَقَدْ نَصَرَكُمْ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦) ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٧)** ﴾ [التوبة] .

---

(١) البخارى (١٤١٢) ، ومسلم (٦١/١٥٧) ، واللفظ المسلم .

(٢) البخاري (١٤١٤) ، ومسلم (٥٩/١٠١٢) .

(٣) البخارى (١٤١١) ، ومسلم (٥٨/١٠١١) ، واللفظ للبخاري .

إن التاريخ يحدثنا أن في الإسلام (قوة ذاتية) مخبوءة ، لا تبرز إلا عند حلول الشدائد بساحته، وإحاطة المحن بأمته ، فهناك نراه أصلب ما يكون عـوداً ، وأعظم ما يكون صموداً ، وأشد مـا يكون قوة ، وأكثر ما يكون على تفجير الطاقة المكنونة لأمته ، وإبراز ما خبئ من قوته وقدرته ، فإذا هو يقاوم فيصمد ، بل يغالب فيغلب ، وإذا الضعف الظاهر الذي أطمع الناس قد استحال إلى قوة ، بل إلى قوة قاهرة منتصرة رأينا ذلك في فجر تاريخ الإسلام ، في يوم بدر حيث انتصـرت القلة على الكثرة ، والضعف المادي على القوة ، وامتنَّ الله على المؤمنين بقوله : ﴿ **وَلَقَدْ نَصَرَكُمْ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** (١٢٣)﴾ [آل عمران] .

وقال تعالى أيضاً : ﴿ **وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمْ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** (٢٦)﴾ [الأنفال] .

– إن في حروب الردة عبرة في وعد الرسول ﷺ بنصرة الإسلام وانتشاره وثباته ، ولم يبق على دين الإسلام إلاّ المدينة المنورة ومكة المكرمة والطائف ، وعاد العرب بعد هذه المدن للحاق بأدعياء نبوة كهنة العرب ومتنفذيهم وأصحاب التأثير في الناس ، مسيلمة الكذاب ، الذي قال عنه أحـد أتباعه : كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر [١] . وسجاح ، والأسود العنسـي وطليحـة الأسدي . ولحق بهم أقوامهم واتبعوهم وقاتلوا معهم ، وانضم إليهم مانعو الزكاة ؛ الذين أقـروا بمبادئ الإسلام .. الشهادة ، والصلاة ، والصوم ، والحج ومن ثم أنكروا الزكاة . وكانت فتنـة عارمة ومحنة قاسية ، جعلت بعض الصحابة يقول لأبي بكر ﷺ : يا خليفة رسول الله ﷺ لا طاقة لك بحرب العرب جميعاً ، الزم بيتك ، وأغلق بابك ، واعبد ربك ، حتى يأتيك اليقين .

ولكن أبا بكر الرجل الرقيق البكاء أبى أن يستسلم ، وثبت كالطود ، وزأر كالليث ، وجهز أحد عشر جيشاً لحرب المرتدين ، ومانعي الزكاة ، ولما ناقشه عمر ﷺ في مقاتلة مانعي الزكاة . مذكراً بقول النبي ﷺ : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : " لا إله إلاّ الله ، فإذا قالوها فقـد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاّ بحقها وحسابهم على الله " .

وهنا قال له أبو بكر في يقين وقوة .. : " والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكـاة ، فـإن الزكاة حق المال . والله لو منعوني " عناقاً " [٢] ، وفي رواية " عقالاً " [٣] ، كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه " .

---

(١) كذاب ربيعة : مسيلمة الكذاب .. وصادق مضر : رسول الله ﷺ .

(٢) العناق : العنزة الصغيرة .

(٣) العقال : ما يعقل به الحيوان المستأنس – عقال بعير .. أو عقال فرس .

وكانت معارك قاسية طاحنة بين جيل الصحابة المتميز عن الناس جميعاً السابقين واللاحقين وعلى قلتهم ، وبين المرتدين ومانعي الزكاة على كثرتهم ، انتهت بانتصار المؤمنين على المارقين الذين رجعوا إلى حظيرة الإسلام تائبين مستغفرين ، مكفرين عن ردتهم ، بالانضمام إلى صفوف المجاهدين (طليحة الأسدي ، وسجاح) في قتال فارس والروم . وكانوا من أعظم الناس بلاء فيه يعوضون عما بدر منهم في حق الإسلام وقتل كل من " الأسود العنسي بيد بعضاً من قومه ومؤيديه ، ومسيلمة الكذاب بعد حرب ضروس شديدة بيد وحشي الذي قتل الحمزة ﷺ في أحد، وقال وحشي : لقد قتلت خير خلق الله وشر خلق الله " وعاد العرب إلى رشدهم لتصبح جزيرة العرب حصناً ، ومعقلاً للإسلام على امتداد القرون[1] .

وتجدر الإشارة إلى الحروب الصليبية وحروب التتار والمغول ، وما في تلك المعارك من عبر ونصر من الله جل وعلا نصر به جنده عندما عادوا إلى هداه وتمسكوا بكتابه وعملوا بموجبه فكان النصر حليفهم .. على أعدائهم الذين اجتاحوا أرض المسلمين ، وقتلوا ما قتلوا وخربوا ما خربوا لكنهم " التتار والمغول " دخلوا الإسلام بعد ذلك وقام المغول بنشر الحضارة الإسلامية في الهند عندما حكموها من أعلاها إلى أدناه وأقاموا حكماً إسلامياً ما هنئوا به حتى استأذنوا الخليفة العباسي الذي أقام في القاهرة بعد أن دمروا الخلافة العباسية واستباحوا عاصمة العباسيين بغداد في أعنف ما تعامل به البشر قبل دخولهم في الإسلام[2].

ذكر الرسول ﷺ الكثير الكثير مما سيحل بأمة الإسلام : ﴿**خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ وحوت كتب الحديث والسيرة أحاديث الفتن ، وحذيفة بن اليمان ﷺ كان له الباع الكبير فيما ورد من هذه الأحاديث ، وقد فسر ﷺ ذلك بقوله : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وأسأله عن الشر مخافة أن أصل أو أعيش حتى يقع . وعرف حذيفة ﷺ بحافظ سر رسول الله ﷺ فلم أفضى النبي بأسماء المنافقين الذين أرادوا قتله وهو عائد من غزوة تبوك وكانت المؤامرة أن يخرج هؤلاء ، وحين يصبح الرسول على شفا جرف فيدفعوا فرسه وهو عليها فيهوي في الوادي . وكشف الله تعالى للنبي هذه المؤامرة ، وأسر بأسمائهم لحذيفة . وحفظ حذيفة الكثير من أسرارهم، وكان حافظاً للسر ، مؤتمن على ما أمنه رسول الله ﷺ .

إذا شك عمر ﷺ بسلوك مسلم وعمله بعمل أهل النفاق ، ثم مات ، فإنه لا يصلي عليه حتى يصلي عليه حذيفة ﷺ فإن صلى ، فإن عمر يصلي عليه وبذلك فإن الكثير من الأحاديث قد

---

(١) راجع من أجل ذلك مختصراً " المبشرات بانتشار الإسلام – الدكتور يوسف القرضاوي وكتب السيرة والمعتمدة والتاريخ الإسلامي في توسع وحوادث نيرة ساطعة .

(٢) انظر من أجل ذلك سيرة فيروز شاه أحد حكام الهند المسلمين .

وردت على حذيفة بن اليمان ، بعضها قد وقع وبعضها تأخر حصوله ، وبعضها مازال ينتظر آخر الزمان ، وظهور الدجال ، وقيام المهدي ، ونزول المسيح عليه السلام . وقد أخذت هذه الدراسات الكثير من أوقات بعض المفكرين ، وشغلتهم عن كثير من أمور حياتهم ، وحتى قيامهم بالجهاد ، بانتظار قيام الساعة ، وظهور علاماتها الكبرى والصغرى ، وحتى أن بعضاً منهم قد عين مواعيد محددة قادمة .. ولا يعلم الغيب إلاّ الله ، فكانت الخائبة . إن كثيراً من أقوال الرسول ﷺ قد حدثت .. وحدثت .. وستحدث ، فإنه ﷺ في أول حديث ذكرناه ، طويت لي الأرض .. إلى آخر الحديث لهو برهان على صدق المصطفى ﷺ ، وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى .

إن ذكر بعض هذه الأحاديث وفي بعض البعض ضعف ظاهر ، سنتجاوز عنه إلى ما كان صحيحاً أو حسناً .. مما أطلع النبي ﷺ أصحابه عليه ليعلموا بدورهم جنود هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس ، ويذهب حيثها وهي في مجالات معينة تشبه الأمم الأخرى ، ولنعلم أن تميزها هو ثباتها على الإيمان المطلق بالله وتوحيده بصفاته وأسمائه وألوهيته وربوبيته ، حتى لا يختلط الأمر على الناس ، فيردون هذه الأمة موارد التردي التي أدت إلى إفناء الأمم السابقة واللاحقة ، ولكن أمة محمد قد تجاوزت هذه الفتن ، وتخطت تلك الاختلافات ، وأفرزت للخير جنداً ، وخرج من ضئضئها الكثير من الدجالين والأدعياء ؛ الذين تغطوا بغطاء الإيمان والإسلام والانتساب ، وحتى الادعاء بالنبوة والألوهية والمهدية وغير ذلك . إن ذكر بعض هذه الأحاديث والعودة لاستذكار مواقف ومواقع دلت عليها إنما هو من باب الحديث المطلق عن الناس ؛ وطبيعة الناس ، وفتنة الناس — المؤمنون منهم والكافرون – والأمر الذي يجب ألا يغيب عن البال هو أن أمة الإسلام من أقل وأندر الأمم في الدنيا سابقاً وحالياً ولاحقاً انكفاءً عن الدين وخروجاً عن الملة ، ولقد بينا فيما سبق في فتنة تحيط بالأمة الآن في أي بقعة وجدت بأنها رغم كل الدراسات في جوانب التخلف والانهزام والعداوة والخصام فإن الإيمان بالله وحده حسب إرادته ومشيئته – ليس إلا في هذه الأمة ، وقول المعروف والأمر به ، والنهي عن المنكر مازال في أول أوليات المسلمين في كل مكان في الدنيا ، ودليلُ هذا ثبات أكثر الأمة على الإيمان وأخلاق الإسلام ، وطاعة الرسول ﷺ والتمسك بالقرآن ونشره – بمختلف الأشكال وحفظه وتداوله ، وترجمة معانيه وكثرة حفاظه ، في أمر يختلف كلية عن كل ما تحصل لدى الشعوب الأخيرة ، القادمة من النصرانية ، والقادمة من اليهودية أو الوثنية ، فإن أمر المسلمين مازال – بضعفه – العامل الأكثر جذباً لدخول الناس فيه ، والإقدام عليه . وبعد أن وصل الناس وكثير من الناس إلى حالة التملص التام من أي معتقد وذلك لعدم القناعات في تلك المعتقدات ، تحول هؤلاء إلى الإسلام . ودخلوا فيه بمجرد معرفة القليل عنه

ونحيل القارئ إلى قصص الذين أسلموا من علية القوم ، وأكابر معتنقي المذاهب الأخرى والذين تحولوا إلى دعاة وبناة لهذا الدين .

وهذه بعض أحاديث رسول الله ﷺ فيما سيصيب أمته خاصة ، والناس عامة في المستقبل . بعضها وقع وبعضها واقع وبعضها سيقع .

قال ﷺ : " لن تفنى أمتي حتى يظهر فيها التمايز والتمايل والمصامع ؛ قيل : يا رسول الله ! ما التمايز ؟ قال : عصبية يحدثها الناس بعدي في الإسلام ؛ قال : فما التمايل ؟ قال : تميل القبيلة على القبيلة فتستحل حرمتها ؛ قيل : فما المصامعُ ؟ قال : سير الأمصار بعضها إلى بعض حتى تختلف أعناقهم في الحرب " [1] .

قال ﷺ عن عوف بن مالك : "كيف أنت يا عوف إذا افترقت هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ؛ واحدة منها في الجنة وسائرهن في النار ؟ قلت : ومتى ذلك يا رسول الله ؟ قال : إذا كثرت الشّرط ، وملكت الإماء ، وقعدت الجملاء[2] على المنابر ، واتخذ القرآن مزامير وزخرفت المساجد، ورفعت المنابر ، واتخذ الفيء دولاً ، والزكاة مفرجاً ، والأمانة مغنماً ، وتفقه في الدين لغير الله ، وأطاع الرجل امرأته ، وعق أمه ، وأقصى أباه ولعن آخر هذه الأمة أولها ، وساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل اتقاء شره، فيومئذٍ يكون ذلك فيه . يفزع الناس يومئذٍ إلى الشام وإلى مدينة يقال لها (دمشق) من خير مدن الشام ، فتحصنهم من عدوهم ، قيل : وهل تفتح الشام ؟ قال : نعم وشيكاً [3] ، ثم تقع الفتن بعد فتحها ، ثم تجيء فتنة غبراء مظلمة ثم تتبع الفتن بعضها بعضاً ، حتى يخرج الرجل من أهل بيتي ، يقال له المهدي ، فإن أدركته فاتبعه ، وكن من المهتدين " [4].

– عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : " يأتي على الناس زمان يستخفي المؤمن فيهم كما يستخفي المنافق فيكم اليوم " [5] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إنه سيصيب أمتي داء الأمم الأشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباغض والتحاسد حتى يكون البغي ثم يكون الهرج " [6].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الفتن والملاحم ٥٢٤/٤ ، وقال : صحيح الإسناد وتعقب عن حذيفة ، نعيم بن حماد في الفتن عن أبي هريرة . قال الذهبي : فيه سعيد بن سنان متهم به .

(٢) ومنه حديث فضاله : كيف أنتم إذا قعد الجملاء على المنابر يقضون بهوى ويقتلون بالغضب " الجملاء : الضخام الخلق .

(٣) لم يمض على وفاة الرسول ﷺ أربع سنوات إلا وفتحت دمشق ، أما أرض الشام فقد فتحت قبل ذلك ، وتعتبر معركة اليرموك بداية النهاية لحكم الروم في الشام .

(٤) الهيثمي في المجمع (٧ / ٣٢٣ ، ٣٢٤) وقال : " رواه الطبراني ، وفيه عبد الحميد بن إبراهيم وثقه ابن حبان وهو ضعيف " .

(٥) رواه ابن السني .

(٦) رواه ابن أبي الدنيا ، وابن النجار .

- وفي تصوير لهذه الأمة في أيام العسرة والفتن :

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " أنتم أشبه ببني إسرائيل : لتركبن طريقتهم حذو القدة [1] بالقدة حتى لا يكون فيهم شيء إلا كان فيكم مثله حتى أن القوم لتمر عليهم المرأة فيقوم إليها فيجامعها ثم يرجع إلى أصحابه يضحك إليهم ، ويضحكون إليه " [2].

- عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :" ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من قبلهم من أهل الكتاب حذو القدة بالقدة " [3].

- عن على بن أبي طالب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله تعالى بعثني إلى كل أحمر وأسود ، ونصرت بالرعب ، وأحل لي المغنم ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهورا ، وأعطيتُ الشفاعة للمذنبين من أمتي يوم القيامة " [4].

- عن أبي إمامة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله تعالى فضلني على الأنبياء بأربع : أرسلني إلى الناس كافة ، وجعل الأرض كلها لي ولأمتي طهوراً ومسجداً ، فأينما أدرك رجل من أمتي الصلاة فعنده مسجده وعنده طهوره ، ونصرني بالرعب مسيرة شهر ، وأحل لي الغنائم " [5].

- عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " إن ربي استشارني في أمتي ماذا أفعل بهم ؟ فقلت : ما شئت يا رب هم خلقك وعبادك ، فاستشارني الثانية ، فقلت له كذلك ، فاستشارني الثالثة ، فقلت له كذلك ، فقال تعالى : إني لن أخزيك في أمتك يا أحمد . وبشرني أن أول من يدخل الجنة معي من أمتي سبعون ألفاً مع كل ألف سبعون ألف سبعون ألفاً ليس عليهم حساب ، ثم أرسل إلي : ادْعُ تُجَبْ ، وسل تعطى فقلت لرسوله : أو معطي ربي تعالى سؤالي ؟ قال : ما أرسل إليك إلا ليعطيك ولقد أعطاني من غير فخر ، غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر وأنا أمشي حياً صحيحاً ، وأعطاني ألا تجوع أمتي ولا تغلب ، وأعطاني الكوثر نهراً في الجنة يسيل في حوضي ، وأعطاني القوة والنصر والرعب يسعى بين يدي شهراً ، وأعطاني أني أول الأنبياء دخولاً الجنة ، وطيب لي ولأمتي الغنيمة ، وأحل لنا كثيراً مما شدد على من كان قبلنا ، ولم يجعل علينا في الدين من حرج ، فلم أجد لي شكراً إلاّ هذه السجدة " [6] .

---

(١) القِدَّة : القِدُّ وزان حمل : السير يخصف به النعل والقِدةُ : الطريقة والفرقة من الناس والجمع قِدَد مثل : سدرةٌ وسدر .

(٢) الطبراني في الكبير ١٠/٤٧ (٩٨٨٢) ، وقال الهيثمي في المجمع ٧/٢٦٤ : " فيه من لم أعرفه " .

(٣) أحمد ٤/١٢٥، وقال الهيثمي في المجمع ٧/٢٦٤ : " رجاله مختلف فيهم " .

(٤) ابن عساكر ٤/٣٥٦ .

(٥) الترمذي (١٥٥٣) وقال : " حسن صحيح " .

(٦) أحمد ٥/٣٩٣ ، وقال الهيثمي في المجمع ١٠/٧٢ : " إسناده حسن " .

– وعن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " لما أسري بي إلى السماء ، قربني ربي تعالى حتى كان بيني وبينه تعالى كقاب قوسين أو أدنى بل أدنى . قال: يا حبيبي ! يا محمد ! قلت : لبيك يا رب ! قال : هل غمك أن جعلتك آخر النبيين ؟ قلت: يا رب ! لا .. قال : حبيبي هل غم أمتك أن جعلتهم آخر الأمم ؟ قلت : يا رب ! لا .. قال : أبلغ أمتك السلام وأخبرهم أني جعلتهم آخر الأمم لأفضح الأمم عندهم ، ولا أفضحهم عند الأمم [1] .

– عن عمرو بن قيس قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله أدرك بي في الأجل المرجو واختارني اختياراً ، فنحن الآخرون ، ونحن السابقون يوم القيامة . وإني قائل قولاً غير فخر : إبراهيم خليل الله ، وموسى صفي الله ، وأنا حبيب الله ، ومعي لواء الحمد يوم القيامة . وإن الله وعدني في أمتي وأجارهم في ثلاث : لا يفنيهم بسنة ، ولا يستأصلهم عدو ، ولا يجمعهم في ضلالة [2] ".

وتبقى أمة الإسلام أمة الجهاد ، أمة الخير ، أمة العبادة ، أمة السيادة في الدنيا والآخرة بعيدة عن الفواحش والمشاغل التافهة والملذات الجسدية والجنسية ، وكل ما يهبط بالإنسان من إنسانية إلى ما هو أدنى منها .

– عن أبي أمامة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :" إن الله عز وجل بعثني رحمة للعالمين ، وهدى للعالمين ، وأمرني ربي بمحق المعازف والمزامير والأوثان والصلب ، وأمر الجاهلية ، وحلف ربي بعزته وجلاله لا يشرب عبدٌ من عبادي جرعة من خمر متعمداً في الدنيا ؛ إلا سقيته مثلها من الصديد يوم القيامة مغفوراً له أو معذباً ، ولا يسقيها صبياً صغيراً مسلماً متعمداً إلا سقيته من الصديد مثلها يوم القيامة مغفوراً له أو معذباً ، ولا يتركها من مخافتي إلا سقيته إياها في حظيرة القدس يوم القيامة ، ولا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ، ولا التجارة فيهن ، وأثمانهن ؟ حرام والاستماع إليهن " [3] .

– عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " فضلنا على الناس بأربع خلال : جعلت لنا الأرض مسجداً وترابها طهوراً ، وإن صفوفنا في صلاتنا كصفوف الملائكة ، وهدانا الله ليوم الجمعة ، وضلت عنه اليهود والنصارى ، وأتيت الآيات من خاتمة سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن أحد قبلي ، ولا يؤتاهن أحدٌ بعدي " [4] .

---

(١) الدر المنثور ٤/ ١٥٨ ، وكنز العمال (٣٢١١١) .

(٢) رواه الدارمي ١/ ٢٩ .

(٣) أحمد ٣/ ٢٦٨ ، والطبراني في الكبير ٨/ ٢٣٢ .

(٤) كنز العمال (٣١٠٧٤) .

- وعن علي بن أبي طالب ﷺ وأبي ذر الغفاري وجابر وابن عباس ، وابن عمر وأبي موسى الأشعري ، وعن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده .. وروايات أخرى رضي الله عنهم أجمعين . قال رسول الله ﷺ - واللفظ لأحمد : " أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي . بعثت إلى الأحمر والأسود ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأحلت لي الغنائم و لم تحل لأحد قبلي ، ونصرت بالرعب فيرعب العدو مني وهو مني مسيرة شهر ، وقيل لي : سل تعطى ، فاختبأتُ دعوتي شفاعة لأمتي وهي نائلة منكم إن شاء الله تعالى من لقي الله عز وجل لا يشرك بي شيئاً " (١) .

- عن أبي أمامة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " لما بلغ ولد معد بن عدنان أربعين رجلاً وقعوا على عسكر موسى - عليه السلام - فدعا عليهم موسى قال : يا رب هؤلاء ولد معد قد أغاروا على عسكري ! فأوحى الله إليه : يا موسى ! لا تدعو عليهم ، فإن منهم النبي الأمي نُجبتي ، ومنهم الأمة المرحومة ، أمة محمد ، الذين يرضون من الله باليسير من الرزق ، ويرضى الله منهم بالقليل من العمل فيدخلهم الجنة بقول لا إله إلا الله ، لأن فيهم نبيهم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، المتواضع في هيبته ، المجتمع له اللب في سكوته ، ينطق بالحكمة ويستعمل الحُكم أخرجته من خير جيل من أمته قريشاً، ثم أخرجته من بني هاشم صفوة قريش ، منهم خيرٌ من خير يصير هو وأمته إلى خير يصيرون " (٢) .

- بشر وأنذر ﷺ فهو البشير والنذير . فكما تكلم عن مكارم أمة الإسلام وخيريتها ، تحدث ﷺ عن الفتن وما يؤول إليه الناس في حال تركهم هذا الدين وهجرهم القرآن ، وطاعة أهل الكتاب ، والأخذ بآراء الكافرين والمشركين ، ولقد صدقﷺ فيما ذكرنا من أحاديثه ، وفيما لم نذكر ؛ بالتحدث عن مستقبل الأمة ومستقبل الإنسانية عموماً ، وقد حصل ما حصل ، ويحصل ما يحصل ، وسيحصل ما أنبأ عنهﷺ .

- عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول اللهﷺ : " من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه ، فو الله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به ما دُمت في مقامي هذا ، والذي نفسي بيده ! لقد عرضت علي الجنة والنار آنفاً في عرض هذا الحائط ، وأنا أصلي ، فلم أر كاليوم في الخير والشر " (٣) .

---

(١) رواه أحمد ١/٢٥٠، وقال الشيخ أحمد شاكر (٢٢٥٦) : " إسناده صحيح " .

(٢) رواه الطبراني في الكبير ٨/١٦٥ (٧٦٢٩) ، ومجمع الزوائد للهيثمي ٨/ ٢٢١ .

(٣) أخرجه البخاري (٥٤٠) ، ومسلم (٢٣٥٩/ ١٣٦) .

وتأكيداً لخيرية هذه الأمة ، ورفعة هذه الأمة ، ووسطيتها ، وثباتها على إيمانها واستمرارها إلى يوم يبعثون ، أحاديث أخبر بها النبي ﷺ مزيداً في أوصاف الأمة وتوضيحاً لما لها من الفضل على سائر الأمم ، ولما لها من الميزات التي لم تعط غيرها من أتباع الأنبياء .

- عن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " صفتي أحمد المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ، يجزي بالحسنة الحسنة ، ولا يكافئ بالسيئة ، مولده بمكة ومهاجره طيبة ، وأمته الحامدون ، يأتزرون على أنصافهم ، ويوضئون أطرافهم ، أناجيلهم في صدورهم ، يُصَفون للصلاة كما يصفون للقتال ، قربانهم الذي يتقربون به إليّ دماؤهم ، رهبان بالليل ، ليوث بالنهار " [1] .

بين رسول الله ﷺ في هذا الحديث بعض صفاته ، وصفات أمته التي أرسل إليها ، فآمنت به ، وصدقته ، وحملت رسالته إلى الآفاق ، رسول إلى البشر جميعاً مستثنى من جميع الرسالات ، وأمته من جميع أنواع البشر ، وسطية العيش ، مجاهدة في سبيل الله لخلاص الناس من الظلمات إلى النور ، عابدة لله تعالى في ليلها ونهارها ، مقدمة أرواحها ودماءها قرباناً إلى الله تعالى لنيل مرضاته ، وللفوز بجناته ، ولنيل شفاعة المشفع من الله تعالى لأمة الإسلام .. هذه هي التي أرادها الله تعالى لتكون خير أمة أخرجت للناس .... وكانت كما أرادها ربها جل وعلا ، وكما ربّاها نبيها ﷺ .

---

(١) رواه الطبراني في الكبير ١٠/١٠٩ (١٠٠٤٦) ، ومجمع الزوائد للهيثمي ٨/٢٧٤ .

obeikandl.com